ISSN: 2716-9170 مجلة سوسيولوجيون
E-ISSN: 2773-3459 المجلد: **الثاني**، العدد: **01**، السنة: **2021**

سوسيولوجية التعليم الجامعي- قراءة مفاهيمية ونظرية

Sociology of university education- Conceptual and theoretical reading

بواب رضوان ، جامعة جيجل ،bouab.redouane@yahoo.fr*
ميلاط صبرينة، جامعة جيجل ،s.djimer@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 28-05-2021 تاريخ القبول: 23-07-2021

ملخص:

يحظى التعليم الجامعي باهتمام معظم دول العالم، لما لهذا النوع من التعليم من دور حاسم في إخراج أفراد أكفاء يساهمون في دعم التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية، وفي دفع عجلة التقدم نحو الرقي والازدهار بجميع نواحي الحياة الاجتماعية على اعتبار أن المنظومة التعليمية الجامعية نسق فرعي من النسق المجتمعي،ولقد جاء الاهتمام والهدف من دراسة موضوع التعليم الجامعي خاصة في البلدان العربية هو انخفاض مستوى هذا التعليم، حيث أشارت معظم التقارير والتوصيات من مختلف المؤتمرات والمنتديات على ضرورة تطوير التعليم الجامعي وجعله مشروعا وطنيا واجتماعيا من خلال التمويل الكافي والتركيز على نوعية المدخلات والمخرجات وكل الفاعلين في هذه المنظومة.

الكلمات المفتاحية:. الجامعة ،التعليم الجامعي ،سوسيولوجية العملية التعليمية.

Abstract:

The university education is of interest to most countries of the world. This type of education has a decisive role in producing qualified individuals who contribute to the support of human, social and economic development and to advance progress towards prosperity and prosperity in all aspects of social life Community The most important reports and recommendations from various conferences and forums mentioned the need to develop university education and make it a national and social investment project through adequate funding and focus on the quality of inputs and outputs and all actors in this system.

Keywords: : university, university education, sociology of the educational process

* المؤلف المرسل

مقدمة:

لقد شهد القرن الحالي تطورات كثيرة في أنظمة التعليم الجامعي سواء من حيث أهدافه أو محتواه أو تقنياته، إذ زاد الإقبال على التعليم العالي وزاد اهتمام المجتمعات خاصة الغربية بالجامعة ودورها في عمليات التنمية، فالجامعات الآن أصبحت تواجه مسؤولية القيام بدور جديد في عالم اليوم، كما أصبحت مصدر التقدم والتطور التكنولوجي المعاصر، فهي قيمة حضارية تساهم في توجيه الأحداث، فالتقدم المادي من صناعتها ورجال الفكر من نتاجها، ولعل هذا ما يفسر اهتمام العالم بالتعليم بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة متغيرات عدة ساهمت في ارتفاع عدد الطلاب وزيادة المعلومات، وكذلك نمو نظريات التعليم والتعلم والتقنية وظهور طرائق جديدة للتعلم وأساليب حديثة في التدريس مما دعى هذه المؤسسات التعليمية إلى سرعة التكيف مع الواقع، والعمل على إعداد وتكوين جميع الفاعلين في المنظومة الجامعية، وعلى رأسهم الأساتذة الجامعيين، حتى يواجهوا الانفجار المعرفي ويواكبوا سرعة نقل التكنولوجيا والخبرات للإفادة من كل ذلك في تلبية حاجات المجتمع فالدور التقليدي للجامعات في بث المعرفة لم يعد هو الموجه لأهدافها بل انضمت إليه أهداف أخرى وحددت بناءًا عليه وظائف هذه الجامعات.

فرسالة الجامعة في عالمنا هي " في حقيقتها رسالة الإنسان الذي كلفه الله تعالى بها ليكون خليفته في الأرض سعيا وراء العلم والمعرفة، واستكشافا لأسرار الطبيعة، واستثمارا للطاقات التي سخرها الله تعالى له، للنهوض بعمارة الكون، وليضع الموازين بالقسط، ويدعم القيم الروحية الأصلية أو يعمق مفاهيمها، ويبثها على أوسع نطاق، ويصونها من كل اعتبار وضلال، ويرفع كلمة الحق، ويقضي على الباطل والفساد، ويبني العقل والضمير الإنساني وينمي الخبرات والمهارات ويثريها." (حمود، 2004،ص7)

ومن هذا المنظور، فإن التعليم العالي له أهمية بالغة في بناء المجتمعات من خلال إعداد القوى البشرية المدربة فمراحل التعليم الجامعي التي يمر بها الفرد تعتبر من أهم المراحل التعليمية في حياته لأنها تأتي استكمالا لما تم تحقيقه في مراحل التعليم السابقة، فهو الذي يساعد على بناء الفرد المتعلم القادر على تحقيق التنمية الشاملة في أي مجتمع من المجتمعات وفق التطورات العلمية والتكنولوجية المتسارعة التي تؤثر تأثيرا مباشرا على هؤلاء الأفراد، لذا وجب على مؤسسات التعليم العالي تطوير

التعليم الجامعي من خلال تطوير ورفع كفاءة التدريس الجامعي الذي يعتبر علم تطبيقي مبني على خطة تعليمية، تنظم بموجبها المادة العلمية وتحول إلى مقياس تيسير فهم محتواه، وهو عملية معايشة يومية متفاعلة وديناميكية بين الأستاذ والطلاب يهدف إلى بث روح البحث والتمحيص وأساليب العلم ونشر أخلاقيات العلم والعلماء وتأهيل القيم والمبادئ التي تحكم العمل في مؤسسات التعليم العالي ،إضافة إلى رفع كفاءة كل الفاعلين في المنظومة الجامعية من خلال توفير الإمكانات اللازمة للعملية التعليمية .

وقد جاءت الكثير من الدراسات الميدانية المتعلقة بهذا المجال انعكاسا للاتجاهات النظرية التي تناولت هذا الموضوع ، حيث أشارت إلى أن وظائف التعليم الجامعي تعددت وتغيرت بتغير متطلبات الحياة العصرية وفي ظل المتغيرات العالمية المتسارعة، و أصبح قطاع التعليم العالي اليوم مطالب ببذل الكثير من الجهود اللازمة لتأهيل وتدريب أعضاءه بشكل يُساعدهم على القيام بعملهم على أكمل وجه وتطوير وتنمية مستوى أدائهم في مهامهم التي تشترط توافر الكثير من الخصائص والقدرات والمهارات والتي تساعدهم على القيام بأدوارهم بأكثر فعالية وكفاءة أثناء العملية التعليمية.

كل هذا من الأمور التي دفعتنا إلى دراسة هذا الموضوع ،وذلك بطرح التساؤلات التالية :

- ما هو التعليم الجامعي؟ ماهي أهداف التعليم الجامعي و مرتكزاته؟
- ماهي أهم الاتجاهات النظرية التي تناولت موضوع الدراسة، واهم إسقاطاتها السوسيولوجية؟

1- المفاهيم المفتاحية :(الجامعة، التعليم الجامعي)

أ. **الجامعة:**

تعتبر الجامعة معقل الفكر الإنساني في أرفع صوره ومستوياته وموطنا لنمو المعرفة والخبرة والإبداع في شتى العلوم، ومخبرا للتطبيقات العلمية المختلفة، ومكانا خصبا لنمو القيم الإنسانية والوطنية والحفاظ عليها.

ولقد ارتبط مفهومها في كثير من الأحيان بالمعرفة، فهي أمل المجتمعات المعاصرة في إمدادها بالإطارات الكفؤة علميا ومعرفيا وفنيا والتي يعول عليها لقيادة التنمية في مختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...، وصارت هذه المجتمعات تحرص على إلحاق أكبر عدد من أبنائها بالمؤسسات الجامعية، فهي تعرف بأنها مجتمع العلماء وهي تمثل المخزون المعرفي للمجتمع.

وحسب عبد العزيز الغريب صقر فإن " مصطلح الجامعة (university) مأخوذ من الكلمة اللاتينية (universitas) وتعني الاتحاد الذي يضم ويجمع أقوى الأسر نفوذا في مجال السياسة في المدينة من أجل ممارسة السلطة، وقد استخدمت الجامعة لتدل على تجمع الأساتذة والطلاب من مختلف البلاد والشعوب، حيث جاء هذا التجمع على غرار الاتحادات الصناعية والحرفية التي كانت تقوم بدور تعليمي مهم في العصور الوسطى.(الغريب،دس،ص49)

وقد تعددت تعاريف الجامعة حسب دورها و وظيفتها وأهدافها، فتعرف الجامعة بأنها " هي المصدر الأساسي للخبرة والمحور الذي يدور حوله النشاط الثقافي في الآداب والعلوم والفنون، فمهما كانت أساليب التكوين وأدواته، فإن المهمة الأولى للجامعة ينبغي أن تكون دائما هي التوصل الخلاق للمعرفة الأساسية في مجالاتها النظرية والتطبيقية وتهيئة الظروف الموضوعية بتنمية الخبرة الوطنية التي لا يمكن بدونها أن يحقق المجتمع أي تنمية حقيقية في الميادين الأخرى. (العياشي،1998،ص12)

ويعرفها رياض قاسم بأنها " حرم العقل والضمير، إنها حرم العقل لأنها تؤمن به وبالحقيقة التي يشيدها ولأنها لا توقف جهودها على تهذيبه وتنميته وبعث قدراته على الإنتاج والإبداع... وإنها حرم الضمير لأنها تؤمن بأن المعرفة الإيجابية مهما عززت تظل ناقصة بل قد تنقلب فسادا ما لم تؤديها مناعة خلقية. (قاسم،1995،ص81)

ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول بأن الجامعة هي تلك المؤسسة التعليمية التي تقوم بوظيفة التدريس وإعداد البحث العلمي ونشر الثقافة والمعرفة، وتكوين الإطارات اللازمة وللتنمية وخدمة المجتمع، وهي مؤسسة تعليمية تربوية تشمل مختلف التخصصات العلمية والأدبية، وتعمل على تزويد الطلاب بمختلف المعارف والعلوم وتمكنهم من الحصول على شهادات علمية للالتحاق بالمسار المهني.

ويعبر المفكر الألماني كارل جاسبر عن ماهية الجامعة بقوله " أن الجامعة تعني في حقيقة الأمر الوجود الفكري للمجتمع "، ويؤكد هذا القول كارل ويلك بقوله " أن الجامعة هي مصدر المعرفة وأنها تستمد هويتها وشرعيتها من هذا الدور المعرفي الهام الذي يقوم به في حياة المجتمع. (عصفور،1996،ص69)

وعليه فالمتتبع لتطور مفهوم الجامعة عبر الحقب التاريخية المتتابعة و للتعاريف التي كتبها المختصون التربويين والأكاديميين يدرك إجماعهم على دور الجامعة الحيوي في نقل المعرفة للأجيال، غير أنهم انقسموا إلى اتجاهين حسب طبيعة هذا الدور المعرفي(شابي،2009،ص44)

- **الاتجاه الأول:** يرى دور الجامعة بصفتها مؤسسة علمية هو نشر المعرفة والحقائق حتى خارج مجال فضاء الجامعة وتنشئة الأجيال عن طريق نقل التراث الثقافي والمعرفي عبر الأجيال، ومن ابرز رواده: جان نيومان، جاست أورتيجا، وولتر سالج.

- **الاتجاه الثاني:** فيؤكد على البعد المعرفي للجامعة ويوسع دورها من نشر المعرفة إلى اكتشافها وتنميتها ومن أبرز رواده: كارل جاسبر، أبراهام فلكتز، داميال جلمان...الخ

غير أنه يبقى من أبرز المؤيدين للاتجاه الثاني المعتمد على دور الجامعة في خلق المعرفة واكتشافها هو عالم الاجتماع الأمريكي (نورنستاين فبلش) حيث قال " ...إن الجامعة كي تستحق أن تسمى جامعة لابد لها أن تكون لها مساهمة بارزة في الإبداع المعرفي والفكري من خلال البحث العلمي الموضوعي الجاد، وإذا لم تكن كذلك فهي أحرى بأن تكون مدرسة ثانوية." (شابي،2009،ص44)

وختاما لكل ما سبق ذكره يمكننا الوصول إلى إعطاء تعريف إجرائي لهذه المؤسسة التعليمية (الجامعة) في كونها عبارة عن مؤسسة اجتماعية وعلمية تضم مجموعة من الفاعلين فيها، تقوم بنشر المعرفة والتراث وتسعى إلى التقدم والتطور من خلال البحث العلمي هدفها إعداد القوى البشرية المؤهلة والفعالة وهي عبارة عن فضاء كبير تمارس فيها كل أنواع الحرية والاستقلالية.

ب- التعليم الجامعي:

إن التعليم الجامعي أو التعليم العالي هو كل أنواع التعليم التي تأتي بعد التعليم الثانوي أو ما يعادله ويعرفه الغامدي وعبد الجواد بأنه " مرحلة التخصص العلمي في كافة أنواعه ومستوياته، رعاية لذوي الكفاية والنبوغ وتنمية المواهب وسدا لاحتياجات المجتمع المختلفة في حاضره ومستقبله بما يساير التطور المفيد الذي يحقق أهداف الأمة وغاياتها". (الغامدي،2004،ص221)

ويعد هذا النوع من التعليم أحد الدعائم الرئيسية التي يرتكز عليها نمو الاقتصاد وتقدم المجتمع فبقدر كفاءة التعليم الجامعي يكون تقدم المجتمع ورقيه ورفاهيته، ويعتبر عضو هيئة التدريس محور العملية التعلمية، وهو المنوط إليه إعداد القادة والمتخصصين والكوادر الفنية بالجامعة، وكل هذا يتوقف على درجة تأهيل هؤلاء الأعضاء وتدريبهم وكفاءتهم التدريسية ومستوى المهارات التعليمية لديهم.

ويجمع الكثير من التربويين والأكاديميين على أن نشأة الجامعة كانت من أجل ممارسة الفعل التربوي التعليمي البيداغوجي والمتمثل في التعليم العالي من خلال التدريس المباشر وتلقين المعارف

ومختلف العلوم. هذا ما ذهب إليه عالم الرياضيات والمفكر والفيلسوف الإنكليزي (ألفرد وايتهد Witehead) حيث رأى أن " الجامعة هي مكان لتدريس الطلاب وتنمية قدراتهم العقلية والفكرية، إذ ينظر للعقل على أنه أداة للتفكير المبدع الفعال، وليس مكان لحفظ المعلومات وتخزينها، واعتبر معيار التدريس الجامعي الجيد هو فعاليته وحيوية التفكير". (شابي،2009،ص46)

وقد عبر وايتهد عن ذلك بالعبارة المشهورة " إن المجتمع الذي لا يقدر العقول المثقفة النيرة، مجتمع محكوم عليه بالإخفاق". (شابي،2009،ص46)

فالتعليم العالي مهم وتقدمه ذو علاقة طردية بتطور الأمم وتقدمها، ومن خلاله يتم بناء أهم ثروات الأمة، وهي ثروتها البشرية، وفيه يتم تشكيل عقلياتهم، وصياغة أفكارهم وتوجيههم لما يخدم المجتمع من تخصصات ومهن، والتعليم العالي يتم من خلاله معالجة مشكلات المجتمع واستشراف مستقبله من خلال الدراسات والبحوث العلمية، وهو المكان الذي سعى لتنمية المجتمع وتطويره ويقود التغييرات الإيجابية فيه، ومنه تتخرج الكوادر الوطنية المميزة في كل التخصصات.

ومنه يمكن تعريف التعليم الجامعي إجرائيا بأنه التعليم الذي نشاط في الجامعة كأعلى مؤسسة تعليمية يقوم به المدرس الجامعي حيث يتم تدريس الطلبة معارف ومعلومات نوعية مرتبطة بالتطورات الحاصلة والتكنولوجيا والطرق البيداغوجية والتعليمية اللازمة تهدف لإعداد وضمان نقل المعارف والمهارات وتنمية الكفاءات والقدرات عندهم.

2- <u>أهداف التعليم الجامعي</u>:

يسعى التعليم الجامعي بحكم رسالته إلى تحقيق أهداف معينة، والجامعة كمؤسسة أكاديمية وإدارية تعمل على إعداد وتخريج قادة المجتمع وحملة نهضته من الذين يقع على عاتقهم عبء نقل المجتمع من حالة التأخر إلى حالة الانطلاق والتقدم.

ويرى علي أحمد مذكور أن من " أهداف التعليم العالي الوفاء باحتياجات سوق العمل من التخصصات المختلفة بالكم والكيف المناسبين لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، فهناك مؤشرات يمكن استخدامها لقياس فاعلية التعليم العالي منها معدل البطالة بين الخريجين، الهجرة الخارجية لخريجي الجامعة، التراكم التكنولوجي المحلي، ومدى قدرة الخريج على القيام بواجباته عند

اندماجه في سوق العمل " (مذكور،2000،ص198) أي أن الجامعة تسعى إلى تخريج إطارات كفأة لجهاز الدولة والجهاز الاقتصادي.

ويمكن تلخيص بعض أهداف التعليم الجامعي فيما يلي: (ذياب ،2008،ص22)

أ. إعداد القوى البشرية: فالجامعة مؤسسة إنتاجية تمكن من إمداد المجتمع بالقوى البشرية المدربة والمؤهلة تأهيلا علميا، وبالعقول المفكرة، فهي مؤسسة استثمار للموارد البشرية التي تسعى إلى إعداد النخب القيادية المؤهلة لاحتلال المواقف القيادية العليا في المجتمع.

ب. البحث العلمي: إن الجامعة لها دور هام في تنمية المعرفة وإنمائها وتطويرها من خلال ما تقوم به من أنشطة البحث العلمي الذي يعتبر ركنا أساسيا من أركان الجامعة، على أن يصحب البحث العلمي النظري تطبيقات عملية تفيد المجتمع.

ج. خدمة المجتمع: تهدف الجامعة إلى خدمة المجتمع كنتيجة حتمية لمجموعة من العوامل منها رغبة المجتمع وأفراده في الحصول على خدماتها، وكذا العلاقة الوثيقة بينها وبين محيطها الاجتماعي إضافة إلى إعداد الخطط والبحوث العلمية التي تخدم أغراض المجتمع وتساعده على الرقي.

د. تعزيز الابتكار والإبداع والتفوق: فالجامعة مطالبة بتعزيز التميز والتفوق والابتكار عند الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية وتوفير الدعم المادي والمعنوي اللازم لذلك.

في حين نجد أن " ر.تيلر R.Tyler " قد حدد للجامعة ثلاثة أهداف في ظل نموذجه التقويمي في المجال التربوي الذي يركز على التأكد بالحجة من تحقيق الأهداف وعدم تحقيقها، وعملية التقويم المتبعة التي كانت تتمثل ببساطة في القياس القبلي و البعدي للأهداف العملية المتوخاة مع إصدار الحكم القيمي الإيجابي أو السلبي المناسب، وهذه الأهداف هي:

- التعليم وإعداد المتخصصين في المهن العالية التي يحتاجها المجتمع.
- خلق المناخ الملائم للبحث العلمي والقيام به.
- تقديم الخدمات العامة للمجتمع." (سعادة ،دليو،1999،ص82)

وعلى العموم فإن الجامعة الجزائرية وعلى غرار الجامعات العالمية تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تكوين إطارات ذات قدرات فنية متشبعة بالشخصية الوطنية، وتهيئتهم للاطلاع على مسؤولياتهم وفق مقتضيات التنمية، وإعدادهم في مختلف الميادين.
- تطوير البحث العلمي وتنمية وخلق الروح العلمية لدى الطلاب والمدرسين والعمل على إرساء قواعده واستمراريته.

– ترقية الثقافة الوطنية والإنسانية والنشاط الفكري بصفة عامة والاهتمام بالتراث العربي والإسلامي.
– توثيق الروابط بينها وبين الجامعات في الخارج، أي عقد شراكات وإنشاء علاقات بحثية وعلمية وتبادل الخبرات والمختصين مع مختلف الجامعات.
– ربط التعليم الجامعي بالحقائق الوطنية لمعالجة المشكلات الوطنية مع إعطائه أبعاد تقنية وعلمية خدمة لمختلف الأهداف المجتمعية.

ونلخص في الأخير إلى القول أن أهداف الجامعة الجزائرية أقرب بكثير إلى أهداف الجامعات الأخرى وهي ترتكز على وظائف أساسية منها وظيفة التدريس التي تسعى من خلالها إلى إعداد الكوادر البشرية المؤهلة في مختلف الميادين، وكذا إعداد البحوث والخطط العلمية، وتشجيع قيم الإبداع والابتكار من أجل إعداد نخب قيادية مؤهلة لقيادة المجتمع.

ومنه فإن الجامعة تستطيع تحقيق أهدافها إذا توافرت لديها جملة من المدخلات، فإن كان الطلاب أهم تلك المدخلات فإن الأساتذة أهم مقوماتها، والتعليم الجامعي يحتاج " نوعية متميزة من أعضاء هيئة التدريس ذلك لأن الجامعة بأساتذتها لا بمبانيها، والجامعة بفكر هؤلاء الأساتذة وعملهم وخبرتهم وبحوثهم قبل كل شيء. "(البرعي ،2002،ص302)

3- المعالجة السوسيولوجية للتعليم الجامعي في ضوء المقاربات النظرية :

لا يختلف اثنان في أن موضوع التعليم والتدريس تناوله الكثير من المنظرين، حيث برزت العديد من النظريات، فكل نظرية صاغت أفكارها وتصوراتها في هذا الموضوع وفق معتقداتها وفلسفاتها المتبناة، والتعليم عموما هو نظام فرعي متكون من عناصر متفاعلة مع بعضها البعض (المدرس، الطالب، المنهاج الدراسي...)، هذا التفاعل وراءه مجموعة أهداف، هذه الأخيرة مستوحاة من فلسفات ومنطلقات ونظريات تفسر العمليات والتفاعلات والممارسات المحبذة في العملية التعليمية، وعليه يمكن حصر اتجاهات التنظير حول التعليم والتدريس فيما يلي:

3-1الاتجاه النظري الاجتماعي الكلاسيكي في التعليم والتدريس:

يضم هذا الاتجاه العديد من النظريات الكلاسيكية التي عالجت مسالة التعليم الجامعي والجامعة كمؤسسة وذلك محاولة منها لفهم وتحليل جميع الممارسات الإدارية والسوسيولوجية المتعلقة بهذا التنظيم من خلال عدة جوانب وزوايا وبشيء من التفصيل، ومن بين هذه النظريات نجد النظرية البنائية الوظيفية، النظرية الماركسية، النظرية البيروقراطية.

<u>النظرية البنائية الوظيفية</u>: لقد ساهم رواد هذه النظرية أمثال " دوركايم، بارسونز، " بآرائهم وتحليلاتهم حول المؤسسات التربوية والنظام التعليمي و التعليم بمختلف وحداته بما في ذلك داخل المؤسسة الجامعية، وركزوا على الدور الأكبر والوظيفة المثلى التي تقوم بها الجامعة كتنظيم ينطلق من وجود تبادلات وتفاعلات بين أفراد التنظيم نفسه وبين هذا التنظيم والبيئة الخارجية، إضافة إلى محاولة معرفة مدى تأثير هذا النظام على باقي الأنظمة الاجتماعية الأخرى.

وفيما يلي سنشير إلى أهم مفكري ومنظري هذه النظرية:

- **<u>إميل دوركايم</u>:** يعتبر إميل دوركايم " أول من مثل جمهور علماء الاجتماع في بلورة الاتجاه الاجتماعي في مجال التربية والتعليم، وتكشف لنا تصوراته وآرائه أنه لم يركز على دراسة الجامعات بصفة أساسية بقدر ما جاءت كتاباته ليعبر عن أهمية نظام التعليم و وظيفته في نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر وتحقيق التجانس له".(شتا،1997،ص90)

ولقد ناقش دوركايم العديد من القضايا التربوية، حيث اهتم بدراسة مشكلات التربية والتعليم في فرنسا ولاسيما قضية المنهج ونوعية المقررات الدراسية التي تعطي للتلاميذ والطلاب سواء في المدارس أو الجامعات، كما عالج من خلال اهتماماته نوعية العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع، ونوعية المكاسب الفردية التي يحصل عليها التلاميذ من خلال دراسة المقررات والمناهج الدراسية، حيث رأى أن " الاختلاف في الظروف الاجتماعية والثقافية والدينية تلعب دورا كبيرا في تنوع البرامج التربوية والتعليمية التي توجد في هذه المجتمعات والتربية في نظره ليست ظاهرة الاستاتيكا بل هي ظاهرة ديناميكية متحركة، والمدرسة من المؤسسات الاجتماعية التي تستطيع بواسطتها المجتمعات أن تغير وتتغير، وتتحول من أشكالها البدائية إلى أشكالها المتحضرة. "(الثبتي،2002،ص39ص40)

أي أن دوركايم حرص على فكرة عدم وجود نمط تعليمي موحد نموذجي تتفق عليه وتقره جميع المجتمعات، لأن الحاجات الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر وتلعب دورا أساسيا في تشكيل وبناء محتويات البرامج التربوية والتعليمية.

كما أقر دوركايم بضرورة تحديد طبيعة التخصص وتقسيم العمل وخلق تخصصات علمية وأكاديمية ومهنية يتطلبها بناء المجتمع الحديث، ورأى أن " المؤسسة الرائدة في جعل التعليم تخصصيا هي الجامعة، باعتبارها المؤسسة الوحيدة التي بإمكانها تكوين مهارات عالية التخصص لتوفير التنوع والاختلاف الذي يقوم عليه التكامل في المجتمع وذلك عن طريق إكساب الأفراد والمهارات النوعية

الضرورية اللازمة للمهنة التي سوف يقومون بها مستقبلا لتحقيق مبدأ تقسم العمل،"الأمر الذي من شأنه خلق تعاون وتضامن في الحياة الاجتماعية للأفراد."(براهيمي،2005،ص19)

كما حرص دوركايم على مناقشة طبيعة العلاقة بين الدولة والنظام التعليمي، حيث أشار إلى أهمية الدولة في تحديد إيديولوجيتها، وضرورة حرصها على التخطيط العلمي والسيطرة شبه الكاملة على المدارس ومنها الجامعات لأن هذه المؤسسات التعليمية لها دور تنظيمي كبير، وهي إحدى المؤسسات الساهرة على تنشئة الأفراد وخلق روح التضامن الاجتماعي في الحياة الاجتماعية ككل، كما أنها المسؤولة إلى جانب الأسرة عن تنمية المهارات الفردية وتكوين الشخصية وإكساب الأفراد المعايير والسلوكات المجتمعية السليمة.

لكن بالرغم من أن دوركايم كان يهدف إلى صياغة تصوره الاجتماعي في مجال التربية والتعليم، إلا أن أفكاره لم تخل من النقد بحيث أهمل دور التلميذ كفاعل تربوي مهم في المنظومة التعليمية وركز بشكل كبير على المدرس الذي اعتبره حجر الزاوية في المدرسة، وربط نجاح النظام التعليمي بنجاح المدرس في أداء أدواره و وظائفه على أكمل وجه.

- **تالكوت بارسونز:** لقد استخدم بارسونز بكثرة مفهوم النسق الاجتماعي وبدأ تناوله في تحليله للمؤسسات الاجتماعية وخاصة المؤسسات التي تحرص على استقرار النسق الاجتماعي مثل المدرس وذلك في مقاله الشهير " المدرسة كنسق اجتماعي "، وقد عبر في إطار نظريته العامة عن النسق والفعل الاجتماعي ومن خلال تحليلاته الوظيفية أن الجامعة هي التنظيم الأم، " وأن التعليم يحدد أنواع الالتزام، فالتعليم الأولي يؤكد الالتزام بتشرب و استدماج القيم الاجتماعية للمجتمع، أما التعليم الثانوي والجامعي فيساعد على تحديد نمط الدور التخصصي الذي يشغله الفرد في مرحلة الرشد." (براهيمي،2005،ص132).

كما اهتم بارسونز " بدراسة وظيفة الجامعة في المجتمع باعتبارها نسقا اجتماعيا يسعى لتحقيق التكامل الاجتماعي والمهني والعلمي ككل، ولكونها مركبا تنظيميا للمعرفة لأنها تغذي جميع المؤسسات والتنظيمات الأخرى بالكوادر الفنية والمهنية الأكاديمية، ومن ناحية أخرى يؤكد بارسونز على ضرورة دراسة الجامعة مثل الأنساق الفرعية، التي لا يمكن فهم أدوارها الوظيفية والبنائية إلا في ضوء سياقاتها الاجتماعية والثقافية وعلاقتها المتبادلة مع الأنساق الفرعية الصغرى، التي تكون في مجملها طبيعة النسق الاجتماعي الكبير وهو المجتمع." (عبد الله،1991،ص113)

وكان تركيز بارسونز على هذه المؤسسات وضرورة دراستها لأنها تقوم على دور وظيفي كبناءات اجتماعية لها أهداف محددة والأفراد الذين يلتحقون بها يمكثون لفترات طويلة تفوق في كثير من الأحيان الفترات التي يقضيها هؤلاء الأفراد مع أفراد أسرهم، يشغلون أدوارا اجتماعية منتظمة داخل المجتمع.

واعتبر بارسونز الجامعة بأنها المكان الذي يمثل جزءًا من " الجوانب المعرفية للمجتمع والبنايات الاجتماعية الثقافية، حيث اهتم بالجماعات المهنية التي عمل في الجامعات مركزا على أهمية التدريب المهني والفني باعتبارهما أساس تطور الكفاءة المعرفية، كما أكد على أهمية التخصص الأكاديمي وعلى أهمية العلاقة بين العملية التعليمية وأنشطة البحث العلمي، فالجامعة بمثابة تنظيم أكاديمي يشبه المجتمع المحلي المتماسك (نسق فردي) والذي عليه تأدية وظائفه في المجتمع". (فني،2005،ص28)

كما أشار لأهمية التعليم داخل المؤسسات التعليمية، والتي تسعى إلى الوصول إلى اكتشاف الطريقة المنظمة لإشباع وتطوير حاجات الفرد الشخصية انطلاقا من اكتساب الثقافة ومقومات النسق الاجتماعي من خلال العملية التربوية وعن طريق مؤسسات النظام التربوي، وينتج عن هذه العملية شخصية اجتماعية محافظة على القيم، لها مكانتها في شبكة الأدوار الاجتماعية، هذه المكانة وتطور حاجات الفرد الشخصية، فالمؤسسة التعليمية ومنها الجامعة هي مؤسسة تربوية ذات فعالية يتم عن طريقها تدريب الأفراد ليكونوا مهيئين لتأدية الأدوار المنوطة إليهم والتي تساعدهم مستقبلا على الاندماج في مجتمعهم وفي مؤسسات عملهم إضافة إلى تربية وتنشئة الفرد من خلال تعديل سلوكه والالتزام بالقيم والعادات الاجتماعية.

والجامعة حسبه " ليست مكانا للتدريس أو الذي يطلق عليه التعليم العالي، ولكن لها أيضا مجموعة متنوعة من الوظائف القيمة، وعلاوة على ذلك لها وظائف أخرى، مثل وظيفة البحث أو ما يسمى بتطوير وتقدم المعرفة."(الجولاني،1997،ص69)

هذا التطور والتقدم حسب بارسونز يكون من خلال التنسيق والتعاون مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فالجامعة هي التنظيم الأساسي في المجتمع والقادر على حل مشكلاته ومن ثمة الحفاظ على بقاءه واستمراره.

وبالرغم من أصالة أفكار بارسونز إلا أنه يصعب تبينها في مجتمعات أخرى لأنها مستوحاة من المجتمع الأمريكي الذي له خصوصيات تختلف عن خصوصيات المجتمعات الأخرى.

ختاما لما تم ذكره حول النظريات الكلاسيكية، فإنه يمكن القول أنها شكلت نسقا فكريا وهي ينبوع الفكر الإداري والتربوي الذي يرتوي منه كل باحث ومؤلف حول المؤسسات التعليمية، ورغم تباينها إلا أنها سعت إلى دراسة وتحليل هذه المؤسسات ومنها الجامعة من خلال التركيز على مواطن الضعف والقوة فيها وإبراز دورها و وظيفتها الأساسية في المجتمع.

2.3 الاتجاه النظري الاجتماعي الحديث في التعليم والتدريس.:

تستند النظريات الاجتماعية التربوية المعالجة في هذا المجال إلى نظرة اجتماعية للتغيرات الممكن إحداثها في ميدان التربية والتعليم الذي يعتبر من الميادين التي تغير في المجتمع، بالفعل " فالتربية والتعليم يلعب دورا هاما في إعادة بناء المجتمع انطلاقا من المؤسسة التعليمية والمدرسة."(برتراند، 2001، ص166)

فالتعليم من خلال بعض العمليات يسمح للفاعلين فيه بتغيير الأوضاع الحالية للمجتمع، كما أنه يساعد على تكييف الأفراد على التفاعل والتعامل السلس مع محيطهم الاجتماعي.

ومنه سنقوم بتقديم وصف لبعض النظريات الاجتماعية التربوية التي تتناول العلاقة بين التربية والتعليم والتدريس مع المجتمع، والتي بمقدورها إعطائها التحليلات والدلالات اللازمة لتطوير هذه العلاقة، الهدف من ذلك تأسيس مجتمع اجتماعي حديث ومتعلم ومثقف وهادف، ومن جملة هذه النظريات نجد:

- النظرية الاجتماعية التفاعلية الرمزية: لقد تبلورت هذه النظرية بصورة واضحة في علم النفس الاجتماعي متأثرة بكتابات "جورج هربرت ميدو بلومر"، وتدور فكرة هذه النظرية على دراسة الطرق التي يستطيع من خلالها الفرد أن يبني تصورا وفهما دقيقا عن ذاته وعن عالمه الاجتماعي المحي طبه من خلال عملية التفاعل الرمزي في الواقف الاجتماعية وفقا لطبيعة فهم العلاقة الحقيقية بين الرموز وما تعنيه وتحمله تلك الرموز من معان بالنسبة للمتفاعلين في المواقف الاجتماعية.

وقد قامت دراسات نفسية واجتماعية في مجال التربية والتعليم " لمحاولة فهم وتشخيص طبيعة ما يحدث من عمليات التفاعل بين الطلاب في الصفوف الدراسية، وتأثير ذلك على بناء شخصياتهم، إضافة إلى دراسة آلية التفاعل الرمزي داخل الحجرة الدراسية على ضوء القواعد التي يحددها المدرس

ويميز بها بين التلاميذ على ضوء عملية الفهم والقصد المميز للوعي والشعور لدى كم من الطالب والمعلم. "(برتراند،2001،ص111)

وتصب التفاعلية الرمزية شرحها للعملية التربوية والتعليمية بأنه يمكن وصف الحياة التربوية كما يحياها التلميذ ويتطور معها من سنة لأخرى، فيتأثر بالنظم والمعارف والأخلاقيات الموجودة في المؤسسات التربوية.

ويندرج ضمن أعمال هذه النظرية، الأعمال التي قدمها "والار"، وبنظر والار إلى المعلمين والتلاميذ على أنهم كائنات بشرية تعيش سوية، وأنهم يمارسون حياة إنسانية وأنشطة اجتماعية، لذا لابد من الاهتمام بالمعلمين لإكسابهم المعارف والمهارات المتطلبة لممارسة العملية التعليمية كعملية اجتماعية تقوم على الاتصال والتواصل الاجتماعي مع بعضهم البعض في بيئة تعليمية اجتماعية تتضمن علاقات اجتماعية ومعرفة خاصة بشخصيات هؤلاء التلاميذ بهدف تحقيق الأهداف المحددة من التعليم والتدريس، وعليه يؤكد أصحاب هذه النظرية على أن التعليم هو نوع من التطبيع الاجتماعي حيث يتكيف التلاميذ اجتماعيا مع جميع العناصر التعليمية داخل الحجرة الصفية أو المؤسسة التعليمية، مع ضرورة توفير مناخ ملائم للعملية التعليمية يساعد على التفاعل الاجتماعي وتجاوز المشكلات الاجتماعية على اعتبار أن نظرتهم للتعليم والتدريس نظرة اجتماعية وهو عملية اجتماعية تتطلب من الفاعلين فيه ممارسة أدوار اجتماعية وامتلاك مهارات لازمة لذلك.

النظرية الماركسية المحدثة: لقد ارتبط الماركسيون وخاصة الجدد في تحليلهم للنظام التربوي والمؤسسات التربوية بنظرية إعادة الإنتاج، فالتعليم حسبهم هو أداة للانتقاء الاجتماعي المأخوذ من الوحدات الطبيعية في المجتمع. ومن خلال تحليلهم للعلاقة بين المدرسة والنظام التعليمي وأنماط الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي والسياسي توصلوا إلى أن النظام التعليمي ومؤسساته تقوم بإعادة إنتاج إيديولوجية ورأسمال مادي وثقافي خاص بطبقة معينة ألا وهي الطبقة الرأسمالية.

وهنا يسعى الباحث إلى استخلاص آراء بعض المفكرين الماركسيين المحدثين الذين طرحوا أفكارا مستوحاة من تصورات الماركسيين التقليديين أمثال كارل ماكس وآخرون.

ومن بين هؤلاء نجد " لويس ألتوسيير، بيار بورديو وزميله جين كلود باسيرون "

– لويس ألتوسيير: لقد تبنى الفرنسي في تحليلاته المنظور الماركسي المحدث، واعتبر التعليم أو النظام التعليمي جزءًا من البناءات الفوقية التي تحدد معالمها حسب نوعية البناءات التحتية أي أن

هناك توافق شديد بين البناء التحتي والفوقي، فالثقافة مثلا هي تعبير حرفي للبناء التحتي ومجال يترسخ فيه الامتثال الإيديولوجي في البناء الفوقي.

وطرح ألتوسيير أفكاره وتصوراته لتوضيح كيفية إعادة قوى العمل من خلال عمليتين أساسيتين هما: إعادة إنتاج المهارات الضرورية من اجل الحصول على قوة عمالة فعالة.

- العمل على إعادة إنتاج إيديولوجية الطبقة الحاكمة.

وهاتين العمليتين تشكلان إعادة إنتاج قوى العمل وتعملان على إعادة إنتاج القوة الفنية الفعالة التي تخضع للإيديولوجية الرأسمالية، وهذا لا يمكن تحقيقه حسب ألتوسيير إلا عن طريق التركيز على دور التعليم، " فنظام التعليم يعكس علاقات الإنتاج ويخدم مصالح الطبقة الرأسمالية، هذه الطبقة التي تحتاج المهارات الضرورية اللازمة ككفاءة قوة العمل، وإعادة إنتاج إيديولوجية الطبقة الحاكمة وتنشئة الأفراد في إطارها، بذلك يتم ضمان توفير قوة العمل اللازمة واكتسابها الكفاءة التكنولوجية هذا من جهة، ومن جهة أخرى تخضع للطبقة الرأسمالية، وعليه فإن دور النظام التعليمي في المجتمع هو إعادة إنتاج قوة العمل التي تتطلبها الطبقة الحاكمة".(حمدي،1995،ص151)

ويؤكد ألتوسيير على العلاقة الارتباطية بين التعليم والدولة على اعتبار أن النظام التعليمي هو أحد أجهزة الدولة الإيديولوجية، ودوره لا يقتصر على إعادة إنتاج قوة العمل وتنشئة أجيال من الطبقة العاملة بل يتعداه إلى جعل أفراد وأجيال هذه الطبقة تؤمن بالطابع الشرعي للنظام الرأسمالي إضافة إلى تخريج مجموعة من المهارات والكوادر المهنية المختلفة التي تسعى إلى تلقين تلاميذه سبل الخضوع والاعتراف بشرعية إيديولوجية الطبقة الحاكمة.

وعليه فإن إعادة إنتاج إيديولوجية فكرية وثقافية خاصة بطبقة معينة يكون من خلال النظام التعليمي، والتعليم هو ميكانيزم ضبط تستخدمه الطبقة الحاكمة للسيطرة على عقول أفرادها.

- <u>بيار بورديو وجين كلود باسيرون</u>: هما من أهم رواد هذا الاتجاه، حيث استخدما نمط متميز من التحليل الواقعي للظواهر الاجتماعية التربوية من خلال أفكارهم الجديدة، وكان لهم الفضل في نقل علم الاجتماع من المستوى النظري إلى مستوى التحليل الملموس، ولقد تبنى بورديو وزميله فكرة " إعادة الإنتاج " ولكنهما ركزا على إعادة الإنتاج الثقافي، بحيث أن النظام التعليمي بمختلف مؤسساته بما فيها

الجامعة مسؤول عن إعادة الإنتاج الثقافي من أجل الطبقات المسيطرة، والتي تسعى إلى كسب شرعية وجودها من خلال عمليات الإنتاج الثقافي.

وتعتبر عملية إعادة الإنتاج وظيفة لعمليتين هما:

- فرض معاني ثقافية بعينها، والأدوات المستخدمة لفرض هذه المعاني.
- تحديد محتوى المعاني الثقافية والتوزيع المتبادل لها، على الأفراد المختلفين والتي تحول المعرفة باعتبارها رأسمال ثقافي، ولهذا ترجم عدم التكافؤ في القوة إلى عدم تكافؤ ثقافي. "(حمدي،1995،ص162)

وعليه نفى بورديو وزميله التمثلات التي كانت عليها وظيفة المدرسة، وتوصلا إلى أن المدرسة تتموقع في هذا الحقل وهي سوق اجتماعية تتسم بعرض وطلب وتلعب دور خفي وهي أداة للهيمنة بحيث أنها تسوق شروط وخدمات خصوصية وليست شمولية بالطبقة المسيطرة، وذلك من خلال تفضيل نقل نصوص ومحتويات معرفية وأنماط لغوية...الخ في البرامج الدراسية تنقل ثقافتها على حساب نصوص أخرى، ونتيجة لعلاقات القوة يكون هذا التفضيل، فكلما كانت المسافة بين ثقافة و وسط الانتماء وثقافة المدرسة قريبة كلما كانت فرص النجاح والتفوق الاجتماعي أكبر والعكس صحيح.

ويخلص بورديو وزميله إلى أن أبناء الطبقة البورجوازية في المناصب العليا يكون أكبر من تواجد أبناء الطبقة العمالية، ومقاييس الامتياز المدرسي هي مقاييس اجتماعية أكثر منها مقاييس علمية، فاللامساواة الاجتماعية يعاد إنتاجها داخل النظام التعليمي عامة والجامعة خاصة، وأن أبناء الطبقة العليا يحققون معدلات نجاح أعلى من الطبقات الأخرى بحكم رصيدهم ومعارفهم وخبراتهم ومعاييرهم وقيمهم الأقرب إلى ثقافة الطبقة المسيطرة.

النظرية الاجتماعية للتعلم الاجتماعي: هي نظرية عمد إلى وضعها " جوليان روتر " وسعى من خلالها إلى " تفسير جوانب السلوك الاجتماعي لدى الأفراد في المواقف المعقدة، وقد دمج فيها مفاهيم من نظريات التعليم الشخصية ، وتتناول هذه النظرية ثلاثة جوانب هي السلوك والمعرفة والدافعية، ويؤكد فيها أن السلوك الاجتماعي يتحدد في ظل السياق والظروف التي تحدث فيها ويتأثر إلى درجة كبيرة بالتوقع أو المعرفة المتعلقة بالتعزيز ومستوى الدافعية.

ويؤكد روتر بأن معظم السلوك الإنساني يحدث في بيئة اجتماعية ويتم اكتسابه بالتالي من خلال عملية التفاعل الاجتماعي مع الأفراد، فهو يرى أن للبيئة الاجتماعية دورا بارزا في إرضاء الحاجات لدى الأفراد وتعمل على حفزهم على تعلم السلوك الذي يحقق التعزيز لهم أو يجنبهم العقاب في السياق الاجتماعي الذي يتفاعلون فيه.

ونسقط هذا على المؤسسات التعليمية و وفق تصور روتر بقولنا أن السلوك الإنساني يحدث في المؤسسات التعليمية، هذه السلوكات تحكمها مجموعة معايير وقيم يدور حولها اتفاق من طرف الجميع من بينها إشباع حاجات التلاميذ من التعلم والمعارف والمهارات وتعزيز سلوكات المتعلم الإيجابية، وضرورة الاحترام المتبادل بين أعضاء مجتمع القسم، وضرورة احترام الآراء المختلفة وتشجيع المبادرات وضرورة التعاون لحل المشكلات...الخ

وتجدر الإشارة إلى أن روتر ربط كل أساليب التعليم داخل المؤسسة التعليمية بأشكال التعزيز المختلفة، فالحوافز والدوافع داخل العملية التعليمية من شأنها زيادة معدلات التعلم، وخلق مناخ تعليمي متميز مبني على تفاعلات اجتماعية راقية تؤثر بشكل كبير على سلوكات هؤلاء الأفراد داخل بيئتهم الاجتماعية الكبرى.

وضمن هذا الإطار نجد عالم آخر يحتذى به في التفكير بهذا المجال وهو "ألبرت بوندورا Albert Bandura" حيث نادى بضرورة إخراج موضوع التعلم من المخابر إلى البيئات الواقعية وقد " اهتم بالصول الاجتماعية للفكر وشرع في إجراء بحوث حول التعلم بواسطة التقليد، ولقد أدت بحوثه وتجاربه إلى ظهور العديد من نظريات التعلم الاجتماعي المعرفي التي تم تطبيقها في مجالات التكوين في المدارس والمؤسسات الإنتاجية.

وتقوم مرجعيات التفكير في فكر بونديرا إلى تبيينه مجموعة من المبادئ التربوية التالية: (برتراند، 2001،ص132ص134)

1) التأثير المتبادل: حيث تقوم هذه النظرية على مفهوم التأثير المتبادل بين العوامل الاجتماعية الثقافية والعوامل الذاتية والعوامل السلوكية في التعليم والممارسة.

2) التعلم غير المباشر: وهو تعلم الأشياء داخل المنظمات التعليمية لا يحدث بقيام الفرد بها، بل يمكن أن يتعلم بملاحظته لأشخاص آخرين يقومون بعمل هذه الأشياء.

3) التمثيل الرمزي: وهو تمثل كل ما يجري في المحيط لتنظيم الأفعال والأفكار.

4) إدراك الفرد لفعاليته: وتتمثل في نوع الإدراك الذي يكونه الفرد عن قدرته على التفوق وعن فاعلية معالجاته وتدخلاته، فالتعلم يتوقف على نوع الحكم الذي يصدره الفرد عن قدراته.

5) الضبط الذاتي: فالفرد يملك القدرة على ضبط ذاته، وأن يتحرك انطلاقا من حاجاته.

6) النمذجة: حيث يتعلم الفرد بواسطة التخلق أي بتقليد الآخرين و وضعهم كنموذج.

ويوصي باندورا المتعلمين والمعلمين أثناء التعليم بضرورة تبني سلوكات الأشخاص الذين يعتبرونهم كنماذج وضرورة تعلم ما هو مفيد، والجمع بين النظرية والتطبيق، وتحليل وانتقاء السلوكيات المراد تعليمها وتعلمها والإعداد الجيد للحصة التعليمية وأخيرا التنفيذ الفعال لهذه الحصة.

-النظرية الاجتماعية التعاونية: هذه النظرية هي نظرية اجتماعية تربوية تعاونية ساهم في إنشائها "ماكلين McLean" سنة 1988، وهي تطبق خاصة في تعليم الرياضيات، ومن خلال " دراساته سعى إلى تعويض التعليم الإلقائي النظري الاستنتاجي باستراتيجيات استقرائية في التعليم تراهن على إيجا حلول سهلة وعملية من طرف التلاميذ للعمليات الرياضية. وتوصل الباحث إلى أنه من الممكن الجمع بين النموذج التعاوني للتعليم واستراتيجيات التعلم الاستقرائي." (برتراند،2001،ص159)

وحتى يتم تطوير نوعية التعليم والتعلم يطرح "ماكلين" استراتيجيات تعاونية واستقرائية للتعليم تعطي صبغة أصيلة من خلال استنتاجه لسيرورة العمل التعاوني بدءًا من طرح مشكلات ذات معنى بالنسبة للتلاميذ ومن الحكم على ملفاتهم التي يعدونها، وبعبارة أخرى تتكون المقاربة الاستقرائية للتعليم عند هذا الباحث من ثلاثة أشياء: العمل التعاوني بين التلاميذ، حل المشكلات، التقويم انطلاقا من الملفات "(برتراند،2001،ص160ص161) . وهي كالآتي:

1) العمل التعاوني بين التلاميذ: بحيث يجب أن يتبنى المتعلمون أسلوبا تعاونيا فيما بينهم ومع المدرس، ويمكن أن يحدث إما عن طريق المزاوجة أو بواسطة جماعات صغيرة، فالتلميذ في هذا النوع من التعليم يكتسب أسلوبه الخاص وأسلوب عيشه داخل مجتمعه.

2) حل المشكلات: فالتلاميذ يتعلمون من خلال حل المشكلات التي ترتبط بواقعهم، وعليه طالب ماكلين بجعل التعلم يأخذ بعين الاعتبار الذي يحدث فيه، والتلاميذ يكونون أكثر إثارة وأكثر قابلية للتعلم كلما لاحظوا أن المعارف التي يحصلونها ذات منفعة حقيقية.

3) التقويم انطلاقا من الملفات: في التعليم التعاوني ينطلق التقويم من الملفات الدراسية التي يكونها التلاميذ خلال السنة الدراسية، والتعليم الحقيقي ينبغي تقويمه في وقته الحقيقي، ويرى الباحث أن الاختبارات الموجودة حاليا لا تقوم إلا بتعزيز بيداغوجيا غير ملائمة وضعيفة الفعالية.

وعليه فإن أنصار النظرية الاجتماعية التعاونية والعديد من المدرسين يؤيدون العمل التفاعلي والتعاوني في القسم من خلال جملة من المبادئ منها مبدأ الشراكة في التعلم، ومبدأ المرونة والتكيف، ومبدأ التعاون المتبادل وتقبل الآخر وتقويم الذات.

ويصر دعاة هذه النظرية على ضرورة أن يتحلى المعلم بالسلوكات الاجتماعية والتعليمية المقبولة وأن يكون مرنا قادرا على توظيف مهاراته ومعارفه في سياقات أكثر إثارة ودافعية وتعزيز للمتعلم إضافة إلى ضرورة إتباعه ممارسات بيداغوجية تكرس العمل الجماعي والتشاركي.

-النظرية الاجتماعية التوعوية: ينصهر تحت لواء نظرية التوعية مجموعة من النظريات التربوية "التي تهدف إلى تحسين الطلبة بدورهم كأفراد فاعلين في المجتمع ويتبنى أنصار هذه البيداغوجيا تقنيات العمل التعاوني." (برتراند، 2001، ص174)

ومن أبرز أنصار هذه النظرية نجد العالم البرازيلي " بولو فيريري Paulo Frerie " حيث قام بتطوير منهجيات تساعد في تكوين الأولياء والمدرسين وفي تحريض الناس على التفكير في ظروفهم الاجتماعية والثقافية، وأكد على " ضرورة الانطلاق من تكوين وتعليم الفرد على أساس ثقافة نقدية لأن عامة الناس يتعرضون للسيطرة والحرمان من طرف الطبقات الحاكمة والتي تحول الفرد إلى متفرج تسيره سلطة مكونة من الأوهام التي أنشأتها لأجله قوى اجتماعية ذات نفوذ قوي.

وعليه وبعد دراسات نادى إلى جعل التربية والتعليم مكان لممارسة ديمقراطية للحرية تقوم على استعمال طريقة نشطة وتأسس على الحوار والنقد وعلى تكوين أفراد قادرين على إبداء الرأي بقوله، إننا بحاجة لتربية تجعلنا قادرين على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية الاجتماعية والسياسية.

ويؤسس " فيريري " نظريته على مجموعة مبادىء هي:" (برتراند، 2001، ص 176 ص178)

1) الحوار: فالحوار يسهل التواصل وهو أساس تربيتنا، فالحوار يعتبر تواصلا ديمقراطيا ويتضمن الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والسياسية ومنه فالمعلم أو المربي لابد أن يلتزم ببناء المعرفة مع الطلبة من خلال الحوار المستقيم، لأن المعرفة لا نستطيع نقلها انطلاقا من علاقة السيطرة.

2) الارتباط بالواقع: إن بيداغوجيا التربية والتعليم كما يرى فيريري لابد أن تتموقع ضمن كل ما هو محسوس وضمن الحس المشترك وضمن الحياة اليومية للتلاميذ.

3) بناء الثقافة: فالمعنى العام للتعليم لابد أن يأخذ بمعنى التثقيف أي توعية الأفراد بثقافتهم وبضرورة مشاركة كل واحد منهم في عملية البناء الجماعي والديمقراطي للثقافة والتاريخ، هذا التثقيف يكون ضمن دائر نقاش ثقافي وتكون معلوماته متطابقة مع الحقائق الواقعية الملموسة المرتبطة بحياة كل الطلبة بغية مساعدتهم على تكوين أنفسهم.

4) تكوين الفكر النقدي: إن الهدف من التعليم والتربية هو توعية الطالب، هذه التوعية يجب أن تكون ذات بعد نقدي وينبغي أن تمس تجارب الطالب الشخصية، فالفكر النقدي يسمح له بكشف القناع عن الإيديولوجيات المسيطرة ويكسبه نظرة اعتزاز بثقافته.

5) التكوين لاكتساب القدرة على التدخل الاجتماعي: فالتربية حسب فيريري تعني منح الطالب اتجاها يسمح بتكوينه بشكل يجعل منه فردا فاعلا اجتماعيا وظيفته التدخل الاجتماعي كلما تطلب الأمر وتحرير الآخرين من قبضة الطبقات المسيطرة.

وعليه طرح الباحث نظريته التربوية المرتبطة أساسا بالممارسة الجماعية الهدف منها عامة والتعليم خاصة هو تحرير الناس وتمكينهم من تقرير مصير حياتهم بأنفسهم.

-النظرية الاجتماعية التحررية: أرسى قواعد هذه النظرية مجموعة من المفكرين أمثال "شور" و"جيروا" و "هورتون" و "دافيدسون" ...الخ، واستلهموا أفكارهم من نظرية التوعية لفيريري، حيث انطلق " شور Shor " من إشكالية اجتماعية للتربية وطرح تساؤلا مفاده؛ هل تستطيع التربية والتعليم أن يجعل الطلبة مفكرين ونقادا وعمالا مهرة ومواطنين نشطين؟ كما دعى إلى " منح الطلبة داخل المؤسسات التعليمية وخارجها السلطات التي تمكنهم من تغيير المجتمع وأن يكون التعليم عبارة عن عملية نشطة وتعاونية واجتماعية تساعد على نمو الفكر النقدي والديمقراطي للفرد. " (برتراند،2001،ص179)

وتتمثل خصائص هذه البيداغوجيا التربية فيما يلي: (برتراند،2001،ص179ص181)

1) المساهمة: ويقصد بها المشاركة النشطة للطالب في مختلف النشاطات المدرسية وشبه المدرسية.

2) التعلم الوجداني والمعرفي: وهو التعلم المؤسس على المعرفة والتحرر والمساهمة لظهور مشاعر جيدة عند الطلبة.

3) تساؤلات الطالب: تراهن هذه البيداغوجيا على أسئلة الطلبة وهي المحرك والنشاط الذي يبني الطالب بواسطته معارفه ويتوصل من خلال ذلك إلى اكتساب نظرة أكثر نقدا للمجتمع.

4) الحوار: يجب على أن تقوم التربية والتعليم على الحوار النقدي، ودور المعلم هو تبليغ المعلومات للطلبة عن طريق التحاور معهم.

5) إعادة النظر في التنشئة الاجتماعية للطلبة: بحيث يجب على المدرسين أن يتقاسموا السلطة مع الطلبة بهدف إعادة النظر في تنشئتهم الاجتماعية وممارساتهم الثقافية والاجتماعية.

6) التعليم الديمقراطي: يصر "شور" على ضرورة تطبيق التعليم الديمقراطي في المؤسسات التعليمية و الفضاءات التربوية، هذا التعليم يسمح لجميع الطلبة بالتعبير بحرية بالتعريف بنواياهم والاستجابة وفق ذلك لعالمهم.

وعليه فإن "شور" وزملائه ينظرون للتعليم على أنه أحسن وسيلة لصنع التغيير في المؤسسات التعليمية، لأنه يسعى لتكوين طلبة يكونون فيما بعد قادرين على تغيير المجتمع.

وخلاصة لما تم ذكره في تحليلنا وتصنيفنا لهذه النظريات ضمن الاتجاه الاجتماعي هو تصورها للتعليم والتدريس والتربية على أنه عملية اجتماعية، وكان لها الفضل البارز في التأكيد على البعد الاجتماعي للتعليم والتربية، وتصنيفها بهذا الشكل لم يكن بمحض الصدفة وإنما انطلاقا من تصورات ومنطلقات وأهداف كل نظرية، ورؤيتها لهم العوامل الاجتماعية والمحددات الاجتماعية المؤثرة في العملية التعليمية وجميع الفاعلين فيها داخل المؤسسات التعليمية.

خاتمة :

- يعد التعليم العالي أحد الدعائم الرئيسية التي يرتكز عليها تقدم المجتمع ونموه وتطوره وبقدر كفاءة هذا التعليم يكون تقدم المجتمع ورقيه ،لدى كان محور العديد من الدوائر العلمية والنظرية التي حاولت من خلال دراساتها وتحليلاتها ومقولاتها تقويم الطرق الأنسب لتطوير هذا التعليم خاصة في المؤسسات الجامعية .
- كما أصبح لزاما على مؤسسات التعليم العالي ترسيخ ثقافة تطوير وتنمية هذا التعليم من خلال الحرص على تحديد الوسائل والأساليب المناسبة والفعالة لخدمة هذه العملية، وتطبيق كل أساليب التقويم المتبعة

لاستخلاص كل المآخذ والنقائص التي يعاني منها الفاعلون أثناء العملية التدريسية، وتزويدهم بالمعارف والمهارات والقيم والمقومات والاتجاهات التي تحقق الجودة في هذه المؤسسات من خلال العملية التعليمية.

قائمة المراجع:

براهيمي وريدة ،(2005)، **المعوقات الاجتماعية للأستاذ الجامعي وأثرها على أهداف المؤسسة الجامعية**،(رسالة ماجستير) غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

برتراند إيفاس، (2001) ،**النظريات التربوية المعاصرة**،البليدة، ترجمة بوعلاق محمد، قصر الكتاب.

البرعي محمد وفاء(:200)، **دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري**، مصر ،دار المعرفة الجامعية.

الثبتي عبد الله بن عايض سالم(2002)، **علم الاجتماع التربية**،مصر، المكتب الجامعي الحديث.

الجولاني فادية عمر (1997)،**علم الاجتماع التربوي**،الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.

حمدي علي أحمد ،(1995)،**مقدمة في علم الاجتماع التربية**،الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

ذياب عبد الباسط محمد ،(2008) ،**تطوير الإدارة الجامعية**،القاهرة، العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

سعادة مولود، دليو فضيل،(1999) ،**علاقة الجامعة بالمحيط**، مجلة الباحث، العدد الثاني، جامعة قسنطينة.

شابي محمد ،(2009)، **دور التعليم الجامعي في تشكيل تمثلات الطلبة للمرأة العاملة**، (رسالة ماجستير) غير منشورة في علم الاجتماع التربية، جامعة جيجل.

شتا السيد علي، عمر الجولاني فادية،**(1997)**،**علم الاجتماع التربوي**،مصر، مكتب الإشعاع.

عبد الله محمد عبد الرحمان ،(1991)، **سوسيولوجيا التعليم الجامعي**،مصر، دار المعرفة الجامعية.

عصفور جابر،(1996)، **معنى الجامعة**، مجلة العلوم الاجتماعية،العدد 45.

علي حمود علي،(2004)، **تنمية وتطوير كفايات وفعالية أعضاء هيئة التدريس بمؤسسات التعليم العالي**، ندوة تنمية أعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم العالي (التحديات والتطوير)، كلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية.

العياشي عنصر**(1998)**،**أي غد لعلم الاجتماع**، الجزائر ،الجامعة اليوم.

الغامدي حمدان، عبد الجواد نور الدين(2004) ،**تطور نظام التعليم في المملكة العربية السعودية**، الرياض، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج.

الغريب عبد العزيز صقر**(دس)** ،**الجامعة والسلطة**، ط1، دار العالمية للنشر والتوزيع، عمان.

فني غنية، (2005)،**التغيرات التنظيمية وأثرها على التحصيل الدراسي في الجامعة الجزائرية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة .

قاسم رياض(1995) ،مسؤولية المجتمع العلمي العربي، منظور الجامعة العصرية وأفق الحرية الديمقراطية داخل الحرم الجامعي، بيروت ،المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 193.

مذكور علي أحمد ،(2005)، **التعليم العالي في الوطن العربي، الطريق إلى المستقبل**، مصر،دار الفكر العربي.